ظاهرة الترادف بين الواقع اللغوي وآراء الدارسين

أ.م. عايد جدوع حنون
كلية التربية/جامعة المثنى

الخلاصة :

من يُنعم النظر في الدراسات اللغوية الحديثة التي تناولت مفهوم الترادف يجد أنَّها ترى أنَّ المراد من الترادف الاتحاد في المعنى ، وتضع شروطاً لتحقيق هذا الهدف ، وتُقسِّم الأوائل في موقفهم من الترادف على ثلاثة أقسام (منكر ، معتدل ، يقبله بشروط) . وترى أنَّ العلماء الذين يبحثون عن الفوارق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ هم المنكرون لهذه الظاهرة اللغوية . وأثبتت الدراسات أنَّ التعبير القرآني كان دقيقاً في اختيار الألفاظ إذ لا نستطيع أن نبدّل لفظة مكان لفظة أخرى في المصحف الشريف من دون أن تتغير الدلالة .

وبما أنَّ القرآن يحتل أعلى مراتب الفصاحة وهو خالٍ من الترادف ، وأنَّ العلماء الأوائل فرَّقوا بين دلالات الألفاظ فهذا يعني أنَّ لا اتحاد في المعنى . بعبارة أدق : لا يوجد ترادف في اللغة العربية . فما الغاية إذاً من البحث في هذا الموضوع ؟

هذا ما لم تجب عنه الدراسات الحديثة التي تناولت ظاهرة الترادف ـ على حد علمي ـ ، ممَّا دفعني إلى البحث في هذا الموضوع . مستنداً في ذلك على الأسس الآتية :

١-اللغة العربية ليست بمستوى واحد ، بل تُقسم على ثلاث مستويات هي :

- اللغة البليغة (لغة القرآن الكريم) .
- اللغة الخاصة (العلماء والشعراء والأدباء) .
- اللغة العامة من الناس .

١. اعتماد المنهج الوصفي في الاستقراء والملاحظة والاختيار واستخلاص النتائج.

٢. عدّ الفوارق اللغوية الدقيقة من أهم أسباب الترادف في اللغة العربية . فعلى الرغم من محاولات العلماء الأوائل التفريق بين دلالات الألفاظ اعترفوا بأنَّهم لم يستطيعوا الإحاطة بها ، وقد أشار ابن الأعرابي(ت ٢٣١هـ) إلى ذلك إذ قال : ((كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله)) [١]. والذين يجهلونه هم الذين يظنونَّ أن تلك الألفاظ بمعنى واحد ، أي هم الذين يظنون أنَّ تلك الألفاظ مترادفة .

التوطئة :

ظاهرة الترادف من الظواهر اللغوية المهمة في لغتنا العربية التي يستطيع الدارس بوساطتها معرفة نسبة اشتراك الألفاظ مع بعضها دلالياً ، كما يستطيع التعرف على السياقات التي تبدل فيها الألفاظ في ما بينها ، والسياقات التي لا يمكن أن تبدل فيها ، ويتعرف أيضاً على التغيّر الذي يصيب الدلالة لو بادلنا بين الألفاظ التي تشترك مع بعضها في بعض المعاني في تلك السياقات . وأي الألفاظ التي يمكن أن يكون تأثيرها البلاغي أقوى لو استُعملت في هذا السياق أو ذاك ؟ وما مدى تأثير دلالة السياق عند المتلقي في حال تبادل الألفاظ المترادفة ؟ وما مدى قوة دلالة بعض الألفاظ في سياقاتٍ معينة ، وضعفها في السياقات الأخرى ؟ وهل راعى كلُّ المتحدثين والمصنفين دلالة الألفاظ في السياق ؟

ومن دراسة معاني الألفاظ المترادفة في بعض المصنفات نستطيع التعرف على ثقافة قائليها ، ومعرفة قدراتهم في اختيار الألفاظ البليغة المؤثرة ، والابتعاد قدر الإمكان عن الألفاظ الرديفة

على اعتبار أنَّ اللفظ الأصلي أقوى دلالة من اللفظ الرديف . ويمكن أن نوازن بين ثقافة شاعرين في عصرٍ واحدٍ ، وأيهما أدق في اختيار الألفاظ الأصلية التي تناسب سياق القول والمقام ؟ كما نستطيع أن نقابل بين ثقافتين في عصرين مختلفين من التعرف على دقة قائليها في اختيار الألفاظ ومدى تناسبها مع السياق كأن يكون أحدهما في صدر الإسلام والآخر في زماننا ، فنستطيع من خلال دراسة الألفاظ المترادفة تعرف مدى ابتعادنا عن المنبع الأصلي للغة ، وكيف كان علماؤنا الأوائل دقيقين في اختيارهم الألفاظ ، وعدم دقتنا في اختيارها ؟

هذه الأمور وغيرها هي التي ينبغي أن يأخذها الدارس اللغوي بنظر الاعتبار عند دراسته لمفهوم الترادف .

المبحث الأول : تعريف الترادف في اللغة والاصطلاح :

أ ـ الترادف في اللغة :

قال تعالى : (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ**)[٢] ، قال الفراء (ت٢٠٧هـ) : ((فأما مردفين : فمتتابعين))[٣] ، و((الرِّدْفُ: ما تَبِعَ شيئاً فهو رِدْفُه، وإذا تتابع شيءٌ خَلْفَ شيءٍ فهو التَّرادُف، والجميعُ: الرُّدافَى)) [٤]، و((وقال الزجاج رَدِفْتُ الرَّجل إذا ركبت خلفه ، وأَرْدَفْتُهُ أركبته خلفي))[٥]، وقال ابن منظور (ت٧١١هـ) : ((وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً))[٦] .

هذه هي أهم التعريفات اللغوية للترادف .

ب ـ الترادف في الاصطلاح :

قال أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ): الترادف يعني : ((الألفاظ المختلفة في الصيغة المتواردة على مسمى واحد كالخمر والعقار ، والليث والأسد ، والسهام والنّشاب ، وبالجملة كل اسمين عبَّرت بهما عن معنى واحد فهما مترادفان))[٧] ، وعند الإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) يعني : ((الألفاظ المفردة الدالة على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ))[٨] ، وعرَّفه الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) بأنَّه ((عبارة عن الاتحاد في المفهوم ، وقيل : هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ ، ويُطلق على معنيين أحدهما : الاتحاد في الصدق ، والثاني : الاتحاد في المفهوم ومَن نظرَ إلى الأول فرَّق بينهما ، ومَن نظر إلى الثاني لم يُفرق بينهما)) [٩] ، وقال في موضع آخر : ((المترادف ما كان معناه واحداً وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك أخذاً من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر كأنَّ المعنى مركوب ، واللفظين راكبان عليه كالليث والأسد)) [١٠] .

وعرفه الدكتور رمضان عبد التواب ((ألفاظٌ متحدة المعنى ، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق)) [١١] ، وهو عند الدكتور حاكم الزيادي ((تلك الألفاظ المختلفة التي تدل على معنى واحد على سبيل الإنفراد)) [١٢] ، وعرَّفه الدكتور قاصد ياسر الزيدي بـ((أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد)) [١٣] ، وعند الدكتور رشيد العبيدي : ((هو الاتحاد في المفهوم أو الدلالة)) [١٤] .

وتشير الدراسات إلى أنَّ أول إشارة إلى هذه الظاهرة اللغوية نجدها عند سيبويه (ت١٨٠هـ) في كتابه إذ قال : ((اعلم أنَّ من كلامهم اختلافَ اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلافَ اللفظيين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلسَ وذهبَ . واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهبَ وانطلقَ)) [١٥] . ويبدو أنَّ قوله هذا هو الذي أوْهَمَ الدارسين بأنَّ الترادف يعني وجود لفظين في اللغة العربية بدلالة واحدة من دون أن تكون ثمة فوارق دلالية دقيقة بينهما . ويبدو أنَّ أبا هلال العسكري (ت بعد٤٠٠هـ) أراد بقوله : ((وإنَّما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها ، وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ،ولم يعرف السامعون تلك العلل والفروق ، فظنوا ما ظنّوه من ذلك ، وتأولوا على العرب ما لا يجوز في الحكم ،

وأما في لغة واحدة ، فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد بما ظنَّ كثير من النحويين واللغويين)) الإشارة إلى قول سيبويه هذا [١٦] .

وقال الدكتور أحمد مختار عمر : ((إنَّنا إذا أردنا بالترادف التطابق التام الذي يسمح بالتبادل بين اللفظين في جميع السياقات ، دون أن يوجد فرق بين اللفظين في جميع أشكال المعنى (الأساسي والإضافي والأسلوبي والنفسي والإيحائي) ونظرنا إلى اللفظين في داخل اللغة الواحدة ، وفي مستوى لغوي واحد ، وخلال فترة زمنية واحدة ، وبين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة ـ فالترادف غير موجود على الإطلاق ... أما إذا أردنا بالترادف التطابق في المعنى الأساسي دون سائر المعاني ، أو اكتفينا بإمكانية التبادل بين اللفظين في بعض السياقات ، أو نظرنا إلى اللفظين في لغتين مختلفتين ، أو في أكثر من فترة زمنية واحدة ، أو أكثر من بيئة لغوية واحدة فالترادف موجود لا محالة . ويمكن التمثيل لذلك بكلمتي : وصل وجاء اللتين تنتظمان مع كلمات مثل : قطار ـ محمد ـ الخطاب ، ولكنهما تستقلان في سياقات أخرى . فنحن نقول : وصل من سفره (ولا نقول جاء) ، ونقول : جاء الربيع (ولا نقول وصل))) [١٧]

نخلص ممَّا تقدم إلى أنَّ الترادف في اللغة يعني ركوب شخص خلف شخص على شيءٍ واحدٍ ، وركوبهما يكون بشكلٍ متتابع . أما في الاصطلاح فيعني : لفظان أو أكثر يتواردان على مسمى واحد ، أو اسمان عبَّرت بهما عن معنى واحد ، أو ألفاظ مفردة دالة على شيءٍ واحدٍ ، أو ما كان معناه واحداً وأسماؤه كثيرة .

نلحظ من ذلك أنَّ الترادف في الاصطلاح عبارة عن لفظين أو أكثر يدلان على معنى واحد .

والتعريف الاصطلاحي يشبه التعريف اللغوي للترادف من جهة وجود شيءٍ واحدٍ ، ووجود أشياء أخرى ، لكنَّهما يختلفان إذ إنَّ التعريف اللغوي يعني تتابع الشيئين على الشيءِ الواحدِ ، والتعريف الاصطلاحي يعني دلالة الشيئين على الشيء الواحد ، والدلالة تختلف عن التتابع ؛ لأنَّ الدلالة تكون واحدة ، أما التتابع فيضم أشياءً كثيرةً متقاربةً.

وأظنُّ أنّ بنا حاجة إلى إعادة النظر في مفهوم الترادف في الاصطلاح من خلال دلالة الترادف اللغوية . فقد ذهب علماؤنا الأوائل إلى أنّ المراد من ((الرِّدافةُ الاسم من أرْدافِ المُلوك في الجاهِلِيّة . والرِّدافةُ : أن يَجْلِسَ المِلِكُ ويَجْلِسَ الرِّدْفُ عن يمينه ، فإذا شَرِبَ الملكُ شرب الرِّدْفُ قبل الناس ، وإذا غزا الملِكُ قعد الردفُ في موضعه وكان خَلِيفَتَه على الناس حتى يَنْصَرف ، وإذا عادتْ كَتِيبةُ الملك أخذ الرِّدْفُ المِرْباعَ)) [١٨].ولكي نربط بين التعريف الاصطلاحي للترادف ودلالته اللغوية نشبه اللفظ الأصلي بالملك ، واللفظ الرديف بالرِّدف ، وبما أنَّ الرِّدف يحل محل الملك في حال غيابه ويكون خليفته على الناس إلى أن يعود ، فاللفظ الرَّديف كذلك يحل محل اللفظ الأصلي في الجمل والعبارات ويؤدي وظيفته الدلالية من وجهة نظر قائليه . ومن أمثلته ما جاء في قول الجوهري هذا (أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه) ، فالجوهري استعمل الفعل (يجلس) بدلاً من الفعل (يقعد) وهذا هو الترادف ، وأنا فهمت مراده مع علمي أنَّ القعود يأتي بعد قيام ، والجلوس يأتي عن حال دون الجلوس وهي الاضطجاع وذلك بحسب وضعهما الأصلي .

ولذا يمكننا تعريف الترادف بأنَّه استعمال لفظ مكان لفظ آخر في بعض العبارات والجمل ؛ لاشتراكهما في جزء من المعنى ، ويفترقان في ما بينهما في ما عدا ذلك الجزء . ويمكننا أن نلمس في قول الدكتور تمَّام حسَّان إشارة إلى ذلك ، فقد قال : ((فالكلمتان اللتان تعتبرهما مترادفتين لا يوجد بينهما في الواقع إلا منطقة مشتركة من المعنى ، ثم يستقل كل منهما بإقليمه الخاص خارج منطقة التداخل)) [١٩] .

وقال الدكتور حاكم الزيادي: ((وقد ثبت لنا أنَّ عدم معرفة الترادف على وجه الدقة والتحديد ، وعدم الاهتداء إلى مفهومه الحقيقي كان ومازال سبباً مهماً من أسباب الخلط والاضطراب في

النظر إلى هذه الظاهرة اللغوية عند أغلب الدارسين)) [٢٠] ، لكنَّه يرى أنَّ مفهوم الترادف الحقيقي هو الاتفاق في المعنى بين الألفاظ ، فقد قال : ((وهذا ما يدلنا على أنَّ جامعي الترادف ، ولاسيما المتأخرين منهم لم يلتزموا عملياً بمفهوم الترادف الصحيح في كل الأحوال ، ونعني به مسألة الاتفاق في المعنى التي ذكرها ابن فارس وثبتها الجرجاني وابن الأثير والتهانوي في تعريفهم للترادف)) [٢١] .

المبحث الثاني : أسباب وقوع الترادف في اللغة العربية وشروط قبوله :

أ ـ أسباب وقوع الترادف :

اختلف العلماء في أسباب الترادف في اللغة العربية فقد عزا قطرب (ت٢٠٦هـ) ذلك إلى التوسع بالكلام فهو القائل : ((إنَّما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في الكلام ، كما زاحفوا في أجزاء الشعر ، ليدلوا على أن الكلام واسعٌ عندهم ، وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب)) [٢٢] وعزا الدكتور علي عبد الواحد وافي ذلك إلى جامعي المعجمات العربية ، وذكر(سبعة) أسبابٍ عدَّها من أهم أسباب وقوع الترادف في اللغة العربية وهي باختصار : إنَّ جامعي المعجمات العربية لم يأخذوا عن قريش وحدها بل أخذوا عن قبائل أخرى ، ودونوا في معجماتهم الكلمات المهجورة في الاستعمال ، وخلطوا بين الألفاظ الحقيقية والألفاظ المجازية ، كما خلطوا بين الأسماء والصفات ، وجعلوا الألفاظ المتقاربة في المعنى من الألفاظ المترادفة ، وأضافوا إلى العربية ألفاظاً من أخواتها الساميات ، أما السبب السابع فهو احتكاك لغة قريش باللغات الأخرى [٢٣] . وقال الدكتور محمد المبارك : ((للشيء المسمى وجوهاً وصفات كثيرة ، ويمكن أن يُسمَّى بأكثر من صفة من صفاته،وأن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تبعاً لتلك الوجوه والصفات ، ومن هنا ينشأ الترادف وهو تعدد اللفظ للمعنى الواحد وهو عكس الاشتراك ، وهذا هو أبرز أسباب نشوئه وظهوره في جميع اللغات ... وأهل الأدب والبلاغة وحدهم قد يُراعون في استعمالهم أحد هذه الألفاظ معناها الأصلي))[٢٤].بيد أنَّ الدكتور رشيد العبيدي ردَّ عليه قائلاً : ((وهذا الذي يحدده المبارك ليس دقيقاً ، فقد وضع في الاعتبار (المشتق) والصفة إلى جانب الألفاظ الموضوعة أصلاً لدلالاتها الحقيقية ، والذي يتتبع موضوع (الترادف) عند الأقدمين يجد أنَّهم احترزوا عن المتباين كالسيف والصارم من حيث وحدة الاعتبار وذلك كما نقل السيوطي في المزهر)) [٢٥] . ويرى الدكتور حاكم الزيادي أنَّ أهم أسباب وقوع الترادف في اللغة ((هو حقيقة التطور في الاستعمال لا التعدد في الوضع كما ذهب كثير من اللغويين القدماء والمحدثين))[٢٦]ونلتمس في قوله هذا ردّاً على الأصوليين القائلين بأصل الوضع.كما أشار إلى سببٍ آخر وهو الألفاظ المعربة والدخيلة التي اختلطت بألفاظ اللغة العربية [٢٧] .

ب ـ شروط قبول الترادف :

أول مَن وضع شروطاً لقبول الترادف في اللغة العربية هو فخر الدين الرازي إذ قال في حدِّ الترادف : ((هو الألفاظ المفردةُ الدالة على شيء واحد باعتبارٍ واحد قال: واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحدِّ فليسا مُترادفين وبوَحْدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم فإنهما دَلاَّ على شيءٍ واحد لكنْ باعتبارين: أحدُهما على الذّات والآخر على الصّفة والفرقُ بينه وبين التوكيد أنَّ أحد المترادفين يُفيدُ ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر وفي التوكيد يُفيد الثاني تقوية الأوّل والفرقُ بينه وبين التابع أن التابع وحدَه لا يفيد شيئاً كقولنا: عَطْشان نطْشان))[٢٨].وزاد الدكتور رشيد العبيدي على هذه الشروط شرطاً آخر هو ألا تكون ألفاظاً دخيلة ومعربة [٢٩].

واشترط المحدثون لوقوع الترادف في اللغة (أربعة) شروط هي :

١. الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً .
٢. الاتحاد في البيئة اللغوية .
٣. الاتحاد في العصر .

٤. ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر [٣٠] .

وهذا يعني أنَّ الترادف لا يقع في الألفاظ المتقاربة في المعنى ، ولا في الألفاظ المعربة والدخيلة ، ولا بين الأسماء والصفات ، ولا في الألفاظ المأخوذة من اللغات السامية الأخرى ؛ لعدم اتفاقها في العصر . أما اختلاف اللهجات فقد قال الدكتور إبراهيم أنيس فيه : ((فإذا طبقت هذه الشروط على اللغة العربية ، اتضح لنا أنَّ الترادف لا يكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة ، وإنَّما يمكن أن يلتمس في اللغة النموذجية الأدبية)) [٣١] وقصد باللغة النموذجية الأدبية لغة القرآن.

المبحث الثالث: ظاهرة الترادف بين الإثبات والنفي :

يرى أغلب الباحثين المحدثين أنَّ الترادف ظاهرة لغوية موجودة في العربية ، لكنَّهم اتَّهموا علماءَنا الأوائل بالمبالغة فيها ، ومن هؤلاء العلماء الذين اتهموهم بالمبالغة في الترادف : الأصمعي (ت٢١٦هـ) لتأليفه كتاب (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) ، ومن أمثلة ما جاء في هذا الكتاب قول الأصمعي : ((ويُقال : يا لُكاع ويا دَفار ، ويا رَقاع هذا كلُّه لؤم)) [٣٢] ، وحمزة الأصفهاني (ت٣٦٠هـ) لذكره (أربعمائة) لفظة في الدواهي [٣٣] ، وابن خالويه (ت٣٧٠هـ) لِمَا نُقِلَ عنه إنَّه جمع للأسد خمسمائة اسم [٣٤]، وإنَّه يحفظ (خمسين) اسماً للسيف [٣٥] ، والفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) لتأليفه كتاب جمع فيه (ثمانين) اسماً للعسل ، سمَّاه (ترقيق الأسل لتصفيق العسل) [٣٦].

قال الدكتور رمضان عبد التواب : ((وقد بالغ بعضهم في جمع تلك الألفاظ ، وحشد بينها طائفة كبيرة ، لا تمت إلى الترادف الحقيقي بصلة ، وكان فخر أحدهم على زميله ، أنَّه يحفظ لهذا الشيء أو ذاك ، كذا وكذا اسماً)) (٣٣٧) ، وقال الدكتور حاكم الزيادي : ((ويمكن القول بأنَّ القدامى الرواة بنهجهم هذا لم يجمعوا المترادف فقط ، بل أكدوا هذه الظاهرة وكانوا من الأسباب في كثرتها والمبالغة فيها ، بما جمعوه ورووه من كثرة الألفاظ للمعنى الواحد وبهذا تهيأ الكثير من هذه المواد لأصحاب الترادف والمؤيدين له بعد ذلك لأن يؤلفوا فيه ويُغالوا إلى حد لا يُصدّق معولين على حصيلة هذا الجمع الذي وضعه الرواة أمامهم)) [٣٨] ، وقال الدكتور قاصد ياسر الزيدي : ((ووجود الترادف في اللغة حقيقة لا شك فيها ، غير أنَّ من القدامى مَن بالغ فيه ، إذ يذكر الأصمعي للرشيد أنه يحفظ للحجر سبعين اسماً،ويقول ابن خالويه إنَّه جمع للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مئتي اسم وزعموا أنَّ حمزة الأصفهاني جمع للدواهي أربعمائة ... ويبدو أنَّ هذه المبالغة أدت إلى ظهور منكرين للترادف ...))[٣٩].

ومن ينعم النظر في الدراسات اللغوية الحديثة التي تناولت موضوع الترادف يجد أصحابها يُقسِّمون العلماء بين منكرٍ لهذه الظاهرة اللغوية ، ومُبالغٍ فيها ، ويجعلون قسماً ثالثاً معتدلاً بين القسمين ، وبعضهم يُصرِّح بذلك ، وبعضهم يُشير إليه ضمناً ، ومن أمثلة ذلك قول الدكتورة كفاية مشكور شلش في أطروحتها للدكتوراه إذ قالت : وقد انقسمَ اللغويون ـ قدامى ومحدثون- فريقين في إثبات الترادف أو نفيه ، فريقٌ يقول بجوازه ، وفريقٍ ثانٍ يقول بمنعه . الفريق الأول : ذهب سيبويه ، وتلميذه قطرب ، والأصمعي ، والقاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ، وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، وغيرهم من اللغويين إلى جواز وقوع الترادف في اللغة ومن المعاصرين الذين قالوا بجواز وقوعه في اللغة علي الجارم وتابعه تلميذه الدكتور إبراهيم أنيس كما ذهب الدكتور صبحي الصالح إلى إثبات وقوع الترادف في اللغة . والفريق الثاني : الذين أنكر وقوع الترادف في اللغة : ابن الأعرابي ، وتابعه تلميذه ثعلب(ت٢٩١هـ) ، وابن فارس(ت٣٩٥هـ) ، وأبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) وعدَّ ابن درستويه (ت٣٤٧هـ) الترادف بأنَّه لغات ، وتابعهم من المحدثين الأب هنري كولا منس اليسوعي ، والأستاذ حفني ناصف ، والدكتورة بنت الشاطئ ، والدكتور أحمد مختار عمر فالترادف عنده غير موجود على الإطلاق [٤٠].

أما القسم الثالث الذي لم تشر إليه الدكتورة فيمثله ـ على رأيهم ـ فخر الدين الرازي ، قال الدكتور قاصد ياسر الزيدي : ((وقد كان فخر الدين الرازي يحدد الترادف ، دون أن ينكره جملة ...

وهذا الذي ذهب إليه الرازي هو أقرب في ما يبدو إلى واقع اللغة وقصد المتكلم ، ممَّا يذهب إليه كثير من القدامى من الرفض المطلق أو القبول المطلق)) [٤١]،ومن أقوال العلماء في ذلك أيضاً قول الدكتور رمضان عبد التواب : ((وقد أدت مبالغة هؤلاء العلماء وغيرهم ، في الاعتداد بهذه الظاهرة إلى ظهور طائفة أخرى من العلماء تعارض هذا الاتجاه ، وترفض ظاهرة الترادف في العربية ، رفضاً تاماً ، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ...)) [٤٢]، وقول الدكتور صبحي الصالح : ((... وإذا الجدل يبلغ أشده في القرن الرابع الهجري حول هذا الموضوع ، فمن منكر للترادف ، ومن مغالٍ في وقوعه،ومن معتدل فيه))[٤٣]. وقول الدكتور حاكم الزيادي : ((فكل الدلائل تشير إلى أنَّ علماء اللغة كانوا يسلمون بالترادف ولا يرونه محل نزاع في القرن الثاني الهجري ، ولذلك فنحن نتفق مع الدكتور إبراهيم أنيس الذي ذهب إلى مثل هذا ، بيد أنَّ الدكتور أنيساً والدكتور صبحي الصالح قد بدءا بذكر ثعلب في إنكار الترادف والقول بالتباين في المترادفات،ولسنا نوافقهما الرأي في ذلك.وعندنا أنَّ ابن الأعرابي هو أول من ذهب هذا المذهب ، فهو القائل: (كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه،ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله)،وقد تلاه في ذلك تلميذه ثعلب الذي روى عنه هذا النص ، مما يجعلنا نرجح أنَّ ثعلباً استمد هذا من شيخه وتأثر به ، ثم تابعهما في ذلك أحمد بن فارس تلميذ ثعلب)) [٤٤]. وقول الدكتور محمد ياس خضر :وأول مَن وصل إلينا إنكاره الترادف هو ابن الأعرابي، وتبعه تلميذه ثعلب،ووافقهما ابن الأنباري إذ قال : وقول ابن الأعرابي هو الذي نذهب إليه [٤٥].

والذي أراه أنَّ هذه التقسيمات بها حاجة إلى إعادة نظر ، فابن الأعرابي أراد بقوله هذا الإشارة إلى أنَّ ثمة فوارق لغوية دقيقة بين الألفاظ ينبغي التنبه عليها ، ووافقه ابن الأنباري (ت٣٢٨ هـ) في ذلك ، وليس في كلامه أية إشارة إلى إنكار الترادف ، والسبب الذي دفع المحدثين إلى ذلك جاء ممَّا اصطلحوا عليه من تعريف الترادف بوصفه اتحاداً بالمفهوم أو الدلالة ! لكنَّ الواقع اللغوي يثبت عكس ما يذهبون إليه فابن الأعرابي كان من أوائل العلماء الذين قالوا بالترادف ، ودليلي في ما أذهب إليه قول الزجاجي(ت٣٣٧هـ): ((أخبرنا نفطويه عن ابن الأعرابي قال : يُقال : للعمامة هي العمامة والمشْوَذة والسِّبُّ والمقطعة والعِصابة والعِصَاب والتاج والمِكْوَرة)) [٤٦]. وقول الدكتور قاصد الزيدي:((وأمَّا ابن الأعرابي وثعلب فلم يكونا في الواقع منكرين للترادف ، بل كانا مثبتين له)) [٤٧] ، ويذكر مجموعة من الشواهد التي تؤكد ما يقول ، ثم يقول : ((فهذه الشواهد تدل بلا أدنى شك على أنَّ ابن الأعرابي كان يذهب إلى وقوع الترادف ووجوده في كلام العرب ، فكيف يُقال إذاً إنَّه ينكره؟!)) [٤٨] . أمَّا أبو العباس ثعلب فقد عَدَّه المحدثون ـ على وفق هذه التقسيمات ـ منكراً لظاهرة الترادف ، لكنَّ الدكتور قاصد الزيدي قال : ((وبالمثل ثعلب ، إذ لا نجده منكراً للترادف ، بل هو ممَّن يقول به ، تدلنا على ذلك أقواله في مجالسه)) [٤٩] ، ثم يذكر أمثلة من مجالس ثعلب يؤكد فيها قول أبي العباس ثعلب بالترادف ، منها قوله : ((يُقال : في رُوعِي، وخَلَدي ، ووهْمِي ، بمعنى واحد)) [٥٠]. ويبدو أنَّ مَن اتهم ابن الأعرابي،وثعلب بإنكارهم الترادف لم يطلع على ما اطَّلع عليه الدكتور قاصد الزيدي .

لكنَّ الدكتور قاصد الزيدي يعتقد أنَّ أبا علي الفارسي ، وأحمد بن فارس كانا من المنكرين للترادف ، فقد قال : ((فأما أبو علي وابن فارس فكانا حقاً منكرين للترادف)) [٥١]،ودليله في ذلك أنَّهما ((كانا يذهبان إلى أنَّ الشيء قد يُسمى باسم واحد ، كالسيف مثلاً ، ثمَّ تكون له عدَّة ألقاب وأوصاف : كالصارم والمُهند والحُسام والعضب ، فهذه عندهما صفات وليست أسماء))[٥٢]، واستند الزيدي في ذلك إلى ما جاء في كتاب المزهر للسيوطي (ت٩١١هـ) : ((وقال العلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع : حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة و فيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماً ، فتبسم أبو علي ، وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف ، قال ابن خالويه ، فأين المهند والصارم ، وكذا ...))[٥٣]، وقال ابن فارس : ((ويُسمى الشيء بالأسماء المختلفة ، نحو : (السيف

، والمهنَّد ، والحُسام) والذي نقوله في هذا : إنَّ الاسم واحد وهو (السيف) وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أنَّ كلَّ صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى . وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنَّها ترجع إلى معنى واحد . وذلك قولنا : (سيف وعضب وحُسام) . وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر.قالوا وكذلك الأفعال. نحو : مضى وذهب وانطلق . وقعد وجلس . ورقد ونام وهجع . قالوا ففي (قعد) معنى ليس في (جلس) وكذلك القول فيما سواه . وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ... ونحن نقول : إنَّ في قعد معنى ليس في جلس . ألا ترى أنَّا نقول (قام ثم قعد) ... ثم نقول : (كان مضطجعاً فجلس) فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأنَّ (الجَلسَ: المرتفع) ، فالجلوس ارتفاع عما هو دونه، وعلى هذا يجري الباب كلّه)) [٥٤]. ويبدو أنَّ ذلك هو الذي دفع التاج السبكي (ت ٧٥٦هـ) إلى القول : ((ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف في اللغة العربية ، وزعم أنَّ كل ما يظن من المترافات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في الإنسان والبشر فإنَّ الأول موضوع له باعتبار النسيان أو باعتبار أنَّه يُؤْنِس ، والثاني : باعتبار أنَّه بادي البشرة)) [٥٥] ، وسلَّم الدكتور حاكم الزيادي بالمتباينات إذ قال : ((إنَّ التباين هو الأصل في معظم المترادفات ... ونحن هنا نسلّم بما ذهب إليه هؤلاء من القول بالتباين والفروق بحسب الأصل ... أجل لقد كانت هذه الألفاظ متباينة بحسب أصلها في اللغة ، وتبعاً لدلالتها القديمة ، بيد أنَّ هذا التباين بالصفات قد أُغْفِلَ وتُنوسِيَ فيها حتى صارت تُستعمل بمعنى واحد))[٥٦].

ويبدو أنَّ السبب الذي دفع الدكتور قاصد الزيدي إلى هذا القول يعود إلى ما اصطلح عليه من تعريف الترادف فهو يرى أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد (٥٧) ، بيد أنَّ السيوطي أشار إلى قوليهما في باب (معرفة المترادف) من دون أن يعدهما من المنكرين ، والذي أذهب إليه أنَّ أبا علي الفارسي وابن فارس فرقا بين دلالات بعض الألفاظ ، ولم يُصرحا بإنكارهما للترادف ، ويمكن عدَّهما من أوائل العلماء الذين اهتموا بالفروق اللغوية . أما ما ذهب إليه السبكي ، وسلَّم به الدكتور حاكم الزيادي (رحمه الله) فيعود إلى السبب نفسه ، وهو ما فهمه الزيادي من الترادف بحسب مفهومه الاصطلاحي الموضوع له ، ولو أنَّ المحدثين أعادوا النظر في التعريف الاصطلاحي للترادف لما قال الدكتور حاكم الزيادي (رحمه الله) : ((... بيد أنَّ هذا التباين بالصفات قد أُغْفِلَ وتُنوسِيَ فيها حتى صارت تُستعمل بمعنى واحد)) ، وقد عدَّ أحد الباحثين المحدثين تسليم الدكتور الزيادي بالمتباينات ، وقوله هذا من الثغرات التي استند إليها في نفيه لظاهرة الترادف في اللغة العربية إذ قال : ((وانتهوا إلى أنَّ كل ما يُظن من المترادفات إنَّما هو من المتباينات التي تكمن تحتها الفروق الدقيقة)) (٥٨) مستشهداً فيما قال بقول الدكتور حاكم الزيادي . والحقيقة أنَّ التباين بالصفات لم يُغفل ولم يُتَناسَ ، والذي أذهب إليه أنَّ كلَّ ما اختلف لفظه اختلف معناه الإيحائي ، أو النفسي ، أو الإضافي ، أو الأسلوبي ، أو الاجتماعي ، أو الثقافي وهذه الفروق هي من أهم أسباب وقوع الترادف في اللغة العربية ، وسيأتي بيان ذلك لاحقاً .

أما ابن درستويه فقد جمع ستين باباً في أسماء الهلاك جعلها بمعنى واحد ، لكن يد الزمن عبثت به فلم يصل إلينا ، وقد اطَّلع عليه حمزة الأصفهاني وقال : ((والعرب لم تسمِّي [كذا] شيئاً كثر ممَّا سمَّت به الداهية والهلاك ، فأما الهلاك ... لم آتِ به من أجل أنَّ ابن درستويه النحوي قد صنَّف عليها كتاباً مبنياً على ستين باباً بما يقتضي من الاشتقاق وتصاريف الأفعال حتى زاد حجم الكتاب على مئة ورقة)) [٥٩] .

فليس كلُّ مَن قال بالفروق اللغوية ، أو كتب بها منكراً للترادف ، وليس كل مَن يذكر أسماءً لبعض الأشياء يُعد مبالغاً في الترادف ، وإنَّ ما ذهب إليه بعض المحدثين في تقسيم العلماء على ثلاثة أقسام (مبالغٌ في الترادف ، ومنكر له ، وقسم معتدل يقبله بشروط) ينبغي إعادة النظر فيه.

فقد تبين لنا ممّا سبق أنَّ الدكتور قاصد الزيدي ردَّ على بعض المحدثين في ما ذهبوا إليه في جعلهم ابن الأعرابي أول المنكرين لظاهرة الترادف مستنداً في ما ذهب إليه إلى أمثلة نقلها عنه في كتابه

(فقه اللغة العربية) ، وكذلك عن تلميذه ثعلب ، لكنَّ الزيدي وغيره من المحدثين سلَّموا جميعهم بأنَّ أبا هلالٍ العسكري منكرٌ للترادف ، وهذا متفقٌ عليه عند أغلب الباحثين ـ إن لم يكن كلهم ـ الذين تناولوا هذه الظاهرة اللغوية وما من أحد يجرؤ على ردِّ ذلك لسببين : **الأول** : إنَّهم يرون أنَّ الترادف يعني الاتحاد في المعنى . والثاني : إنَّ أبا هلال العسكري فرَّق بين الألفاظ ، فكيف يقول بالاتحاد في المعنى ؟

والذي أذهب إليه أنَّ أبا هلال العسكري لم ينكر الترادف ، وأستندُ في ما أذهب إليه إلى دليلين . الأول: إنَّ أبا هلال العسكري لم يذكر في كتابه لفظ الترادف مطلقاً ، ولم يقل : إنَّ الألفاظ المفترقة في المعنى غير مترادفة ؛ وهذا يعني أنَّه كان يعلم أنَّ الترادف يعني الاشتراك في جزء من المعنى ، وليس الاتحاد في المعنى ، وكانت غايته من تصنيف هذا الكتاب هي توضيح الفروق اللغوية بين الألفاظ التي يعتقد سيبويه وغيره من العلماء أنَّها متحدةُ المعاني ـ وقد أشرنا إلى قوله في ذلك في بداية البحث ـ ، ولم ينكر أنَّ الألفاظ المفترقة في المعنى تلتقي في جزء منه ، بل أكد ذلك من خلال تفريقه بين الألفاظ المتقاربة المعاني التي يظن بعضهم أنَّها بمعنى واحد .

الثاني : كانت نظرة الباحثين إلى هذه الظاهرة نظرة جزئية ، إذ إنَّهم اعتقدوا أنَّ الترادف يعني أنَّ ثمة ألفاظاً تأتي بمعنى واحد ، فمن قال بذلك جعلوه من القائلين بالترادف ، ومن لم يقل ذلك جعلوه منكراً لهذه الظاهرة ، واستناداً إلى هذا التقسيم جُعِلَ العسكري من المنكرين للترادف بوصفه كان مهتماً بالفروق اللغوية ، ولم يقل : إنَّ ثمة ألفاظاً تأتي بمعنى واحد ، واستناداً إلى القاعدة التي اعتمدوها لو أنَّ أبا هلال العسكري أشار إلى وجود لفظين في العربية بمعنى واحد لعدوه من القائلين بالترادف ، وقد فاتهم أنَّ أبا هلال العسكري قد قال ذلك ، فهو القائل : ((فأول النوم : الوَسَن والسِّنة والنُّعاس : نَعَسَ يَنْعَسُ ، ووسنَ يَسِنُ . ويُقال للنوم : الهجود والهجوع . فأما التهجد فالسهر . وقيل : هو السهر للعبادة . وفي القرآن : فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ . والرُّقاد والتهويم . رقدَ يَرْقُدُ ، وهو راقد ، وهم رُقود ، وهوَّم يُهوم تهويماً . والإغفاء النومة الخفيفة ، أغْفَى يُغْفِي . والعامة تقول : غَفَا يَغْفُو ، ولا أعرفه صحيحاً)) [٦٠] . فهو لم يُفرّق بين الوسن والنُّعاس ، والرُّقاد والتهويم . واستناداً إلى تعريف المحدثين الاصطلاحي فهذا ترادف ، فلِمَ عدّوه من المنكرين لظاهرة الترادف ؟ الجواب : إنَّهم استندوا في ما ذهبوا إليه إلى كتاب (الفروق اللغوية) فقط ، من دون أن يلتفتوا إلى أقواله في مصنفاته الأخرى .

نخلص ممَّا تقدّم إلى أنَّ الترادف ظاهرةٌ لغويةٌ لم ينكرها القدامى ، وأهم أسبابها الفوارق اللغوية الدقيقة التي لم يستطع الناس أن يفرقوا بينها ، وأبو هلال العسكري عندما كتب في الفروق اللغوية لم يرد بذلك إنكار الترادف.

والأصمعي ، وحمزة الأصفهاني ، وابن خالويه ، والفيروز آبادي عندما جمعوا أسماء ، بعض الأشياء فهذا لا يعني أنهم أنكروا الفروق اللغوية ، فهم لم يصرحوا بإنكارهم لهذه الفروق اللغوية الدقيقة ، لكنَّ طبيعة دراستهم دفعتهم إلى عدم الإشارة إليها ، أما ما حدث بين أبي علي الفارسي وابن خالويه فكانت الغاية منه التفريق بين الأسماء والصفات ؛ لأنَّ الاسم هو ما دلَّ على الذات ، والصفات هي التي تتلبس بها تلك الذات [٦١] .

واستناداً إلى ذلك يمكننا القول : إنَّ ما ذهب إليه بعض الباحثين في تقسيم العلماء على ثلاثة أقسام(مبالغٌ في الترادف ، ومنكر له ، وقسم معتدل يقبله بشروط) لا حاجة لنا به ، وأسباب الترادف في اللغة العربية كثيرة من أهمها الفروق اللغوية الدقيقة التي لا يمكننا أن نميّز في ما بينها ـ في أغلب الأحيان ـ ؛ لأنَّ المتكلم العربي لا يستطيع أن يُمَيِّز بين معاني كلّ الألفاظ ؛ لأنَّه مهما بلغ من الثقافة والوعي تبقى مداركه العقلية محدودة ، وقول ابن الأعرابي ـ المذكور آنفاً ـ خير دليل على ، لكن للأسف فُسِّر قوله هذا بأنَّه أوّل من أنكر الترادف ـ كما أشرت إلى ذلك آنفاً ـ[٦٢] .

المبحث الرابع : الترادف في القرآن الكريم :

الترادف من الظواهر اللغوية التي تتعلق بالمفردات اللغوية ، وموضوع المفردة اللغوية في القرآن الكريم يرتبط بموضوعات دلالية ، وبلاغية ، وسياقية ، وقد أشار الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إلى ذلك إذ قال : ((وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها . ألا ترى أنَّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ؟ والناس لا يذكرون السغب ، ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ؛ لأنَّك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة ، لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث ...ولا يتفقدون من الألفاظ ما هو أدق بالذكر وأولى بالاستعمال))[٦٣] . وقال الخطابي (ت٣٨٨هـ) : ((اعلم أنَّ عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كلّ نوع من الألفاظ منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ذلك أنَّ في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنَّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر)) [٦٤] .

وقال الدكتور علي عبد الحسين زوين: ((لا يمكن أن تحل كلمة محل أخرى في سياق معين فتؤدي وظيفتها اللغوية والعقلية والعاطفية أداءً تاماً ، ولكن بالإمكان أن تحل كلمة مكان أخرى فتؤدي معناها نسبياً ضمن مفهوم (المعنى المركزي) وهو المعنى المعجمي المستقر نسبياً أيضاً في الذهن عند الجماعة اللغوية)) [٦٥] . ولم يلتفتوا إلى أنَّ الكلام العربي الفصيح يُقسَّم على مستويات مختلفة ، ولكلٌّ لغة ـ ولاسيما لغتنا العربية ـ مستويات مختلفة . ففيها المستوى العام الذي يستعمله أبناء البيئة اللغوية الواحدة في مخاطباتهم العامة ، وشؤون حياتهم اليومية . وفيها المستوى الخاص الذي يعمد إليه الشعراء والمثقفون في التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم . وفيها المستوى البليغ المؤثر وذلك يتمثل بلغة القرآن الكريم ، وهذا المستوى أعلى المستويات اللغوية ، وعجز فطاحل الفصاحة والبيان من أنَّ يأتوا بمثله . فكلُّ لفظٍ في القرآن الكريم له دلالة خاصة به لا يمكن أن يحل محله لفظ آخر ليؤدي معناه الذي أراده الله سبحانه وتعالى منه ، فالقرآن الكريم جاء بلغة عربية فصحى ، لكن أية لغة هي ، فهي كما يصفها الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ((فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه ... واعلم أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان ... وهو أدق من السحر وأهول من البحر وأعجب من الشعر ، وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب أن وضع الصبح في موضع الفجر يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً وليس كذلك فإنَّ إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى بل تتمكن فيه وتضرب بجرانها وتراها في مظانها وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها وتجد الأخرى لو وضعت موضعها في محل نفار ومرمى شِراد ونابية عن استقرار)) [٦٦] .

واستعان بعض المحدثين المنكرين لظاهرة الترادف في اللغة العربية بالقرآن الكريم ، ومنهم الدكتورة عائشة عبد الرحمن إذ قالت : ((والقرآن الكريم يحسم هذا الخلاف [في الترادف] الذي طال إذ يشهد التتبع الاستقرائي لألفاظه في سياقها أنَّه يستعمل اللفظ بدلالة لا يؤديها لفظ آخر في المعنى الذي تتعدد ألفاظه المقول بترادفها)) [٦٧] ، وأنا اتفق معها في أنَّ الله سبحانه وتعالى استعمل كلُّ لفظٍ بدلالة لا يمكن أن يؤديها لفظٌ آخر ، وأنْ لا ترادف في القرآن الكريم ، وإنَّ ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس في إثبات وقوع الترادف في القرآن الكريم إذ قال : ((ولا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يلتمسون في كل لفظ من ألفاظه شيئاً لا يرونه في نظائره من الألفاظ الأخرى)) [٦٨] يعود إلى النظر الجزئي في كلام الله عزَّ وجلَّ ، وعدم الدقة في استقراء آياته ، لكنَّنا لا يمكن أن ننكر ظاهرة الترادف في اللغة العربية ؛ لأنَّ الكلام العربي الفصيح ليس بمستوى واحد .

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ رأي إبراهيم أنيس هذا صار تياراً تابعه فيه بعض العلماء منهم الدكتور صبحي الصالح إذ قال : ((... نقر بوجود الترادف في القرآن الكريم)) [٦٩] .

أما المستوى الثاني ـ وهو كلام المخلوقين من العامة والخاصة ـ ففي الاستعمال العربي الفصيح بين العامة يكثر الترادف إذ يستعمل المتكلم في كلامه ألفاظاً بدلاً من غيرها من دون أن يلتفت إلى دلالتها الأساسية ، والإضافية ، والإيحائية ، والأسلوبية ، وقد يُراعي المقام أحياناً ، وقد لا يُراعيه بحسب ما يمتلكه من ثقافة . أما الخاصة من الناس ـ الشعراء والمثقفون ـ فلا يختلفون عن العامة كثيراً في استعمالهم للغة العربية ، ولاسيما في زماننا الذي نشترط فيه على المتكلم شروطاً لنقبل منه الترادف ، ومن أمثلة ذلك ما أشار إليه الجاحظ في قوله المذكور آنفاً ـ فمن منا يميز في كلامه وكتاباته وشعره بين دلالة المطر ودلالة الغيث . وأغلب المحدثين لا يعلم أنَّ المطر يُستعمل في اللغة في موضع الانتقام والأذى ، وذكره الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم في (تسع) آيات ، (ثمان) منها تدل على الانتقام ، وواحدة تدل على الأذى [٧٠] .

نخلص ممَّا تقدم إلى أنّ ما ذهبت إليه الدكتورة خديجة الحديثي في نفي الترادف من لغتنا العربية ، وما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس ومن وافقه في إثبات الترادف في القرآن الكريم بعيد عن واقع اللغة العربية ، إذ ينبغي لنا أن ننظر إلى اللغة العربية نظرة موضوعية تتناسب مع واقعها اللغوي فهي تنماز من غيرها من اللغات بأنَّها تُقسم على ثلاثة مستويات لغوية (اللغة البليغة (لغة القرآن الكريم) ، ولغة الخاصة (الشعراء والأدباء والمثقفون) ، ولغة العامة من الناس). وأعتقدُ أنَّ الأسلوب القرآني كان دقيقاً في اختيار الألفاظ ؛ لئلا تختلط دلالات بعض ألفاظه مع بعضها فيختلف العلماء في تفسيرها ، ويُجانبون الصواب في معرفة المراد منها .

الهوامش

(١).فصول في فقه العربية ، د . رمضان عبد التواب : ٣١١ ؛ والترادف في اللغة ، د . حاكم الزيادي : ٤٧.
(٢).سورة الأنفال : ٩ .
(٣).معاني القرآن ، أبو زكريا الفراء : ١/ ٤٠٤ .
(٤). معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٨/ ٢٢ .
(٥).لسان العرب ، ابن منظور : مادة (ردف) ١٩٠/٥ .
(٦).لسان العرب: مادة (ردف) ١٩٠/٥ .
(٧).محك النظر في المنطق ، الغزالي : ١٨ .
(٨).المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي : ٤٠٢/١ .
(٩).التعريفات ، الجرجاني : ١/ ٧٧ .
(١٠). م . ن : ١/ ٢٥٣ .
(١١). فصول في فقه العربية : ٣٠٩ .
(١٢). الترادف في اللغة : ٧٢ .
(١٣). فقه اللغة العربية ، قاصد ياسر الزيدي : ١٦٨ .
(١٤). أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ، الدكتور رشيد العبيدي : ٢٣٤ .
(١٥). كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : ١/ ٢٤ .
(١٦). الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : ٣٥ .
(١٧). علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ٢٢٧ ـ ٢٣٠ .
(١٨). لسان العرب: مادة (ردف) ١٩٠/٥ .
(١٩). اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمَّام حسَّان : ٣٢٩ .
(٢٠). الترادف في اللغة : ٦٥ .

(٢١). م . ن : ٥٣ .
(٢٢). الأضداد ، محمد بن القاسم الأنباري : ٨.
(٢٣). ينظر : فقه اللغة ، الدكتور علي عبد الواحد وافي : ١١٢ .
(٢٤). فقه اللغة وخصائص العربية ، الدكتور محمد المبارك :٢٠٠.
(٢٥). أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية : ٢٣٤ ـ٢٣٥ .
(٢٦). الترادف في اللغة :٣٠٥ـ ٣٠٦ .
(٢٧). ينظر : م . ن : ٣٠٦.
(٢٨). المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/ ٤٠٢ .
(٢٩). ينظر : أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية : ٢٣٥ .
(٣٠). ينظر : في اللهجات العربية ، الدكتور إبراهيم أنيس :١٥٤ ـ ١٥٥ ؛ والترادف في اللغة : ٦٦ .
(٣١). م . ن : ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(٣٢). ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ، أبو سعيد الأصمعي : ٣٩ .
(٣٣). ينظر : الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية ، حمزة الأصفهاني : (مخطوط) ورقة ١ـ٤ .
(٣٤). ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٤٠٩/١ ؛ و يُنظر : فقه اللغة العربية :١٦٨ .
(٣٥). ينظر : م . ن : ١/ ٤٠٥ .
(٣٦). ينظر : م . ن : ١/ ٤٠٩ .
(٣٧). فصول في فقه العربية : ٣١٠ .
(٣٨). الترادف في اللغة : ٤٥ .
(٣٩). فقه اللغة العربية : ١٦٨ .
(٤٠). ينظر : الدرس اللغوي عند الفراء ، كفاية مشكور شلش : (أطروحة دكتوراه) ١٩ ـ ٢١ .
(٤١). فقه اللغة العربية : ١٧٠ .
(٤٢). فصول في فقه العربية : ٣١١ .
(٤٣). دراسات في فقه اللغة ، الدكتور صبحي الصالح : ٢٩٩ .
(٤٤). الترادف في اللغة : ٤٧ ؛ وينظر قول ابن الأعرابي في : الأضداد : ٧.
(٤٥). ينظر : دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ، محمد ياس خضر الدوري : (أطروحة دكتوراه) ٢٢ ؛ وينظر :قول ابن الأنباري في : الأضداد : ٨ .
(٤٦). المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/ ٤١٠ .
(٤٧). فقه اللغة العربية : ١٦٩ .
(٤٨). م . ن : ١٦٩ .
(٤٩). م . ن : ١٦٩ .
(٥٠). م . ن : ١٦٩ ـ ١٧٠ ؛ وينظر : مجالس ثعلب ، أبو العباس ثعلب : ١/ ٧٦ .
(٥١). م . ن : ١٦٨ .
(٥٢). م . ن : ١٦٨ .
(٥٣). المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/ ٤٠٥ .
(٥٤). الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس: ٥٩ ـ ٦٠ ؛ وينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/ ٤٠٤ .
(٥٥). المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٤٠٣/١ .
(٥٦). الترادف في اللغة :٢١٢ .
(٥٧). ينظر : فقه اللغة العربية : ١٦٨ .
(٥٨). دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: (أطروحة دكتوراه) ٢٣.
(٥٩). الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية : (مخطوط) ورقة ٤ .
(٦٠). التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، أبو هلال العسكري : ١/ ١٣٣ ؛ وتنظر الآية في : سورة الإسراء : ٧٩.

(٦١). ينظر : الفروق اللغوية : ٤١ ؛ وأسماء الله الحسنى توثيق ودراسة صرفية ، عايد جدوع حنون ، بحث منشور في(مجلةالقادسية في الآداب والعلوم التربوية ، مجلد (٥) ، العددان (٣ـ٤)) :٩٢ .
(٦٢). ينظر:فصول في فقه العربية:٣١١؛والترادف في اللغة : ٤٧ ؛ ودقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : ٢٢ .
(٦٣). البيان والتبيين ، الجاحظ : ١/ ٣٧ ـ ٣٨ .
(٦٤). ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (البيان في إعجاز القرآن) ، الخطابي : ٢٦٠ .
(٦٥). المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة ، الدكتور علي عبد الحسين زوين : ٨٠ ، بحث منشور في (مجلة آفاق عربية ، العدد (١) ، لسنة ١٩٩٢م) .
(٦٦). إعجاز القرآن ، الباقلاني : ١٨٣ ـ ١٨٤ .
(٦٧). من أسرار العربية في البيان القرآني ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن : ٣٧ .
(٦٨). في اللهجات العربية :١٥٦.
(٦٩). دراسات في فقه اللغة : ٢٩٩.
(٧٠). ينظر : سورة النساء : ١٠٢ ؛ وسورة الأعراف : ٨٤ ؛ وسورة الأنفال : ٣٢ ؛ وسورة هود : ٨٢ ؛ وسورة الحجر : ٧٤ ؛وسورة الفرقان : ٤٠ ؛ وسورة الشعراء : ١٧٣ ؛ وسورة النمل : ٥٨ ؛ وسورة الأحقاف : ٢٤ .

المصادر

القرآن الكريم
(١). أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ، الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد (١٩٨٨م) .
(٢). الأضداد ، محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت (١٩٦٠م) .
(٣). إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة (د . ت) .
(٤). البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق حسن السندوبي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ط٣(١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م) .
(٥). الترادف في اللغة ، الدكتور حاكم مالك لعيبي الزيادي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد (١٤٠٠هـ ـ١٩٨٠م) .
(٦). التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط١ (١٤٠٥هـ) .
(٧). التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، أبو هلال العسكري (ت بعد٤٠٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عزَّة حسن ، دمشق (١٩٦٩م) .
(٨). ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط١(د . ت) .
(٩). دراسات في فقه اللغة ، الدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣(١٩٦٨م) .
(١٠). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١(١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) .
(١١). علم الدلالة ، الدكتور أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط١ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
(١٢). العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، منشورات دار الهجرة ، قم ، ط١ (١٤٠٥هـ) .
(١٣). الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٤٠٠هـ) ، علَّق عليه ووضع حواشيه محمَّد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢(١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م).
(١٤). فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب ، مطبعة المدني ، مصر ، ط٣ (١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) .
(١٥). فقه اللغة ، الدكتور علي عبد الواحد وافي ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ط٢ (١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م) .
(١٦). فقه اللغة العربية ، الدكتور كاصد ياسر الزيدي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

(١٧). فقـــه اللغـــة وخصـــائص العربيـــة ، الـــدكتور محمـــد المبـــارك ، دار الفكـــر ، بيـــروت ، ط٣ (١٩٦٨م) .
(١٨). في اللهجات العربية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، مطبعة أبناء وهبة حسَّان ، القاهرة ، ط٣(٢٠٠٣م) .
(١٩). كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمـد هارون ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ (١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م) .
(٢٠). لســـان العـــرب ، جمـــال الـــدين أبـــو الفضـــل محمـــد بـــن مكـــرم بـــن منظـــور الأفريقـــي (ت ٧١١ هـ)، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهَّاب ومحمد صادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٣ (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م) .
(٢١). اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمَّام حسَّان ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، (١٩٩٤م) .
(٢٢). ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٧هـ) ، تحقيق وشرح وتعليق ماجد حسن الذهبي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١(١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .
(٢٣). مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط٣(١٩٦٩م).
(٢٤). محك النظر في المنطق،أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)،دار النهضة،بيروت (١٩٦٦م).
(٢٥). المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جار المولى وآخرون، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط٣ (د . ت)
(٢٦). معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، دار السرور (١٩٥٥م) .
(٢٧). من أسرار العربية في البيان القرآني ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار الأحد ، بيروت (١٩٧٢م) .

المخطوطات :

(١). الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية ، أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت٣٦٠هـ) ، مخطوطة مصورة بالفوتستات عن خزانة دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٨٠١هـ) .

الاطاريح الجامعية :

(١).الدرس اللغوي عند الفراء ، كفاية مشكور شلش ، أطروحة دكتوراه ، مطبوعة بالحاسوب ، كلية التربية ، جامعة البصرة (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) .
(٢).دقـــائق الفـــروق اللغويـــة فـــي البيـــان القرآنـــي ، محمـــد يـــاس خضـــر الـــدوري ، أطروحة دكتوراه ، مطبوعة بالحاسوب ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) .

الدوريات:

(١).مجلة آفاق عربية ، العدد (١) ، لسنة (١٩٩٢م) ، بحث بعنوان (المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة ، الدكتور علي عبد الحسين زوين .
(٢).مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، المجلد (٥) ، العددان (٣ـ٤) ، لسنة (٢٠٠٦م) ، بحث بعنوان (أسماء الله الحسنى توثيق ودراسة صرفية ، عايد جدوع حنون).

Abstract

The purpose of this study is to shed light on some modern linguistic studies that deal with the phenomenon of synonymy in order to make the reader aware of the week nesses that this study tackles It also forms the base for scientific objective studies away from the restricted opinions These studies should start from scientific mental and analytical perspectives that take into considerations the levels of the Arabic language

This study has an introduction which is a linguistic lexicon that takes in account the accurate linguistic differences between the words

We and the next coning generation can depend on this lexicon in the choice of words and in their usage in the suitable situation the lexicon is mainly based on the book of the linguistic Difference " Al Furoog Al Lughawia " by Ibi Hilal AL Askari